لونغ جون سيلفر

جلست السيدة «سين» بصعوبة بالغة على كرسي العيادة واطلقت زفرة صادرة من الاعماق بينت فيها ما كانت تعانيه من تعب وارهاق شديدين. بعد لحظات من وصولها دخلت العيادة سيدة اخرى بصحبة طفل صغير لم يكن يتجاوز الخامسة من العمر، وقد غطت بقطعة قماش سوداء احدى عينيه.

تعجبت كثيرا من عدد اكتراث الصبي بمشكلة فقده لاحدى عينيه، واخذت تراقب حركاته وهو يقوم بمداعبة لعبة الدب التي كان يحملها. اخذت السيدة سين تتجاذب اطراف الحديث مع ام الصبي، الذي ما لبث ان نزل عن مقعده وجلس على الارض يلعب بمجموعة من السيارات الصغيرة التي كانت معه. لم تتوقف السيدة سين عن مراقبته طوال الوقت، وملاحظة مدى عدم اكتراثه بمصيبته، وفجأة قامت بسؤاله عما حدث لعينه. سكت الصبي ولم يجب، وبعد برهة نظر اليها وقال لها وهو يرفع العصابة عن عينه: ان عيني سليمة ولا تشكو من شيء!! انني القرصان سيلفر الشهير!! وعاد الصبي الى العبث بالعابه غير مكترث.

سرحت السيدة سين في افكارها، فقد ذهبت في ذلك اليوم الى العيادة ليقوم طبيبها الخاص بفحص ما تبقى من ساقها التي فقدتها في حادث سيارة قبل فترة، لكي يقرر ما اذا كان بامكانها ان تلبس قدما اصطناعية بدلا من الاعتماد على العكازين.

لقد تحطمت حياتها كليا بعد ان فقدت قدمها واصبحت كثيرا ما ينتابها شعور بانها قد اصبحت غير ذات فائدة، بل واصبحت تشكل عالة على زوجها وابنائها. وقد تسبب هذا الشعور في اصابتها باكتئاب مزمن قلما كان يفارقها.

غيرت كلمة «قرصان» التي سمعتها من ذلك الصبي حياتها!! وانتقلت في لحظات بذاكرتها الى ذلك الفيلم الذي شاهدته وهي صبية عن القرصان «سيلفر» الشهير الذي كان يقف على سطح سفينته وقد ابعد رجله الخشبية عن رجله السليمة الاخرى، وكيف كان يقف متباهيا في وجه الامواج العاتية التي كانت تضرب وجهه وقد غطت خرقة سوداء احدى عينيه، ويحمل سيفا يلوح فيه بيديه ويصرخ في بحارته طالبا منهم الصمود وهو يقاوم امواج البحر العاتية. وتخيلت نفسها واقفة مكانه وهي تميل بظهرها الى الخلف رافعة رأسها بكبرياء الى الاعلى، رافضة الاستسلام للعاصفة التي غطت بمياه امواجها العاتية شعرها وملابسها ولكنت قاومت وانتصرت... احست في تلك اللحظة باختفاء الشعور بالعجز الذي كان يكتنفها وبانها اصبحت قوية، لا تشكو من الضعف والمهانة.

بعد لحظات معدودة نودي على اسمها لمقابلة الطبيب فقامت بمساعدة عكازيها، وما ان رآها الصبي وهي تقوم حتى صاح بها: آه يا سيدتي... ماذا حدث لرجلك؟

نظرت السيدة سين الى الصبي وقالت له وهي تبتسم بثقة عجيبة: لا شيء، انني قرصانة ايضا!!

***

● قيل: اننا لا نرى الاشياء كما هي، بل اننا نراها كما نكون نحن!

احمد الصراف